المتكلم بها إلى ملاحظة ارتباطات متعددة ولاسيما فى هذه الأيام إذ ماتت السليقة اللغوية وصارت اللغة تؤخذ بالتلقين والتعليم لا بالفطرة والطبيعة، ومهما بلغ متكلم العربية اليوم من طول الباع ورسوخ العلم فإنه لايستطيع إلا أن يولى الناحية اللغوية جانباً من نشاطه الذهنى أثناء النطق أو الكتابة، فعليه مثلاً أن يلاحظ محل الكلمة من الإعراب ليحرك آخر الحرف فيها على نحو ما يقتضى الحال، وعليه أيضاً أن يلاحظ المطابقة فى التعريف والتنكير وفى التذكير والتأنيث وفى الإفراد والتثنيه والجمع، وعليه أن يحتاط لما ينصرف وما لاينصرف وأن يحترس لإعراب المثنى والجمع السالم وأن يلاحظ آخر الاسم المنقوص إلى آخر ذلك من الارتباطات التى يستحيل مراعاتها إلا بإتقان النحو إتقاناً جيداً وهكذا يتبين أن النحو من حيث المبدأ غير ملوم وأنه لابد من أن يأتى صعباً معقداً لأن اللغة غنية متنوعة الارتباطات ونحن لانؤمن أن دراسة النحو تمكن الدارس من ناحية اللغة وتقدره على التعبير الصحيح ولكننا نعتقد أن للنحو شأنه فى تقويم اللسان وفى ضبط اللغة وهو دور، مهما قلنا من شأنه يظل محتماً لاسبيل إلى إهماله. على أننا نحب أن نفرق بين أمرين:

الأول: بناء النحو نفسه، والثانى: الطريقة الفضلى لتدريس النحو

فمن حيث بناء النحو جرت محاولات فى مصر وغيرها لإدخال تغييرات أساسية عليه ولسنا فى مجال يتيح لنا أن نعدد هذه المحاولات أو نفاضل بينها، ولكننا نستطيع أن نفترض أن معظم هذه المحاولات متأثر بطرائق الغربيين فى دراسة النحو وتنظيم القواعد.

إننا بحاجة إلى منهج الغربيين أكثر من حاجتنا إلى استنتاجاتهم ومعلوماتهم فى المجال النحوى بوجه خاص، وتطبيق منهج البحث العلمى على علم النحو العربى ونشأته يفيدنا أن هذا العلم ربما وجد فيه مأخذان أولهما اعتماد منطق أرسطو أساساً لتنظيم القواعد وتكبيل اللغة بالقيود الصارمة الجامدة، وهذا الأمر لم يفت العرب القدامى وأتت مدرسة الكوفة فى القديم ثورة على (منطقة) اللغة والنحو وتعبيراً عن استياء العربى ابن